الفصل الخامس

علاقة الذئب بالطيور والحشرات والزواحف والأسماك والطبيعة

الطيور الداجنة

الدجاج

جاء في المصايد والمطارد لكشاجم ما يلي:

"الدجاج إذا كان واقفاً على أغصان الأشجار والرفوف، فلو مَرّ تحتها كلب، وسنور، وكل ثعلب، وكل شيء يطلبها، لم تتحرك، فإن مَرّ ابن آوى بقربها، لم تبق منها واحدة إلا رَمَت بنفسها إليه؛ لأن الذئب هو المقصود به...، وكذلك بني آوى والدجاج، ويُخَيَّل إليها أن ذلك مما ينفعها عنده"[1].

إذن، فالدجاج بعض ما يصيده الذئب من الطيور الأليفة، غير أن في هذه المعلومة شيء من المبالغة، فهي تقول: "فإن مر ابن آوى بقربها، لم تبق منها واحدة إلا رمت بنفسها إليه...".

وهذا التأثير النفسي، أو الجاذبية الإيحائية، غير معترف بها علمياً، ولا تتحقق على أرض الواقع، فالمشاهدات تثبت غير ذلك تماماً، إنها تثبت أن الدجاج يَفِرّ من وجه الذئب — وابن آوى من جنسه — فيتعقبه، ويبذل جهداً في محاولة القبض عليه. ويرينا أحد المراجع العلمية صورة ملاحقة أحد الذئاب ديكاً، ثم تجتمع الذئاب عليه، تأكله [2].

---

(١) كشاجم، المصايد والمطارد، ص٤٤.

(٢) Freumd, Der Walfbamench, s. 83.

إن الذئب يتسلل داخل أحواش البيوت، ليجد شيئاً يأكله، ومما يجده هناك الفراخ، فيختطف منها، فيأكله [١]، إذ تعدّ الطيور عامة مما تأكله الذئاب[٢]. قال الكميت:

وبلدةٍ لا يَنـالُ الذئب أَفْرُخَهـا ولا وَحَـى الوِلْدَةِ الدّاعينَ عَرعارِ[٣]

الطيور البرية

الطيور البرية غير الجارحة

الحمام البري:

ذكر الراعي أن من بين أطعمة الذئاب الحمام، ومن الطبيعي أن الذئب لا يقدر على صيد الحمام، ولكن إذا تمكن منه، أكله: والراعي يصف ذكَرَ حمام وُجد مكسور الجناح، فهو يصوّت بصوته المعروف الهديل، وأضاف إليه صفة أخرى، وهي أنه كان في وقت الربيع، كناية عن السُّمنة، فجاءه الذئب ليأكله:

كهُداهـد كَسَـر الرُّمـاة جناحَـه يدعـو بقارعـة الطريـق هَديـلا

وَقَـعَ الربيعُ وقـد تَقاربَ خَطوُه ورَأى بعَقْوتـــه أَزَلَّ نَســـولا[٤]

وقد لوحظ أن الذئاب تأكل البط الطائر، والطيور عامة، وقت الصيف بشكل خاص [٥].

---

(١) انظر، Harington, & Paguet, Wolvs of the World, p. 184

(٢) انظر، Ibid, pp. 36-37, 75

(٣) ابن منظور، اللسان، "عرر". وانظر، الأسدي، شعر الكميت بن زيد، ج١، ص١٨١. أي: ليس بها ذئب، لبعدها عن الناس.

(٤) الراعي، شعر الراعي، ص ص٦٣-٦٤. عقوته: ساقه. الأزل: الخفيف الوركين. نسولا: ينبعث مسرعاً.

(٥) Mech , The Wolf, pp. 178-179 .

النعام :

يتعايش الذئب والنعام في الصحراء، ويهاب الذئب ذكر النعام، يقول ابن مقبل:

سَخاخاً يُزَجّي الذئب بين سهوبها وفحْل النّعام رِزُّه وأزامله [١]

وكما هو واضح، فإن الذئب في الصحراء العربية لا يطارد بمفرده إلا الحيوانات الضِّعاف، أو التي لا تستطيع الهرب منه، ومما لا شك فيه أن النعامة تهرب من الذئب، إذا أدركت أنها ستقع فريسة له، أو تقاومه. ومن هنا وجدنا الكميت يقول: إن الذئب يسطو على فراخ النعام. ولكن الذكر يستطيع أن يدرأ عن فرخه الخطر إذا تعرض له الذئب، وذلك على الرغم مما عُرف عن النعام من حمق، وتَرْكه بيضَه في العراء، حتى ليضل عنه. يقول الكميت:

وإن تَعرَّض مُعْتَسّ الذئاب له أوفى بأوْلَق ذي الزَّبُونة الحَرِب [٢]

وقالوا في تفسير قول ابن النطاح:

والذئب يلعب بالنعام الشارد

"الذئب لا يعرض لبيض النعام وفراخه حين لا يكونان حاضرين أو يكون أحدهما؛ لأنهما متى ناهضاه، ركضه الذكر، فرماه إلى الأنثى أعجلته الأنثى، فركضته ركضة تلقيه إلى الذكر، فلا يزالان كذلك حتى يقتلاه، أو يُعجزهما هرباً، وإذا حاول ذلك منه أحدُهما لم يَقْوَ عليه".

ويضيف الجاحظ: "وزعم أن نعامتين اعتورتا ذئباً، فهزمتاه، وصعِد شجرة،

---

(١) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص٢٤١. السخاخ: الأرض اللينة. الرزز: الصوت. الأزامل: الأصوات المختلفة.

(٢) الأسدي، شعر الكميت بن زيد، ج١، ص١٣١. الأولق: الجنون. الزبونة: من زبنه، أي دفعه. الحرب: العالم بالحرب.

فجالدهما، فَنَقَره أحدُهما، فتناول الذئب رأسه، فقطعه، ثم نزل إلى الآخر، فساوره، فهزمه"[١].

وقال ابن مقبل، مبيِّناً أن الذئاب "السباع"، تأكل بيض النعام:

كبيضة أُدْحِيٍّ يُوَحْوِح فوقها هِجَفّان مُرتاعا الضّحى وَحَدان

أَحَسّا حَسيساً من سِباعٍ وطائفٍ فلا وَحْدَ إلا دُونَ ما يَخِدان [٢]

وبيّن ذو الرمة أن الذئاب تأكل فراخ النعام، وتنتهز فرصة غياب النعام، لتنقض عليها، فقال مصوِّراً إسراع الأنثى والذكر للحاق بأبنائها قبل حلول المساء:

لا يَأمَنـــان سِباع الليـل أو بَـــرَداً إن أَظْلَما دون أطفالٍ لَهَا لَجَب [٣]

"والسباع" هنا تنصرف أيضاً إلى الذئاب.

ولم تأت المراجع على علاقة الذئاب بالنعام، ولابد أن الذئاب تفعل ما تفعله الضباع في اقتحام أعشاش النعام، وأكل بيضها، أو افتراس فراخها، بل الهجوم على النعام نفسه [٤]، وقد بين الشعراء كلتا الحالتين.

ويمكن تصور مطاردة الذئاب، حسب تعبير ابن النطاح السابق: "والذئب يلعب بالنعام الشارد"، وفقاً لما جاء عن مطاردة الأسد النعام، حيث يلاحقها، وهي تعدو مسرعة، فتركله بأقدامها، إلا أن ثقل حجم النعامة يتيح للأسد نهس

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ج٤، ص ص٣٣٢-٣٣٣. اعتورتا: تداولتاه.

(٢) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص ص٣٣٧-٣٣٨. أدحي: مَبيض النعام في الرمل، تدحوه النعامة برجلها، ثم تبيض فيه. يوحوح: يصوِّت فوق البيضة. الهجف: الجافي الثقيل الكثير الريش. مرتاعا الضحى: أي أفزعهما شيء في الضحى. وحدان: منفردان.

(٣) ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ج١، ص١٣٢. اللجب: الصوت. البرد: حبات ثلج المطر.

(٤) Milles, Kalahari Hyenas, pp. 83-85.

أفخاذها، فيسقطها [١]، ورأينا الجاحظ يبين أن الذئب يقدر على النعامة وحدها، كما "يساورها".

الغربان:

تتفق الدراسات على مصاحبة الغربان للذئاب، ووجودها في أماكن تجمعها، وبالذات في المناطق الروسية الآسيوية [٢]. ويتوافق التراث العربي على تأكيد هذه الناحية، فهذا أحد الرجاز يقول:

والأَعْـــوَرُ العيـــــن مَـــــعَ السِّرحـــــال[٣]

كما بيّن جران العود وجود الغراب إلى جانب الذئب في صحرائهما المنقطعة، وأشار إلى سكن الغربان الكهوف. وقد استخدم: "الطير"، بدلاً من التصريح بالغربان، فقال:

ولا الطَّيـــرُ في كَهْـــفٍ لَهُـــنَّ نَعِيـــق [٤]

أما مصاحبة الغربان للذئاب، فهي لحرصها على الحصول على بقايا ما يتركه الذئب بعد مغادرته فريسته، ولاجتماعهما على ما يجدان في طريقهما. يقول حميد بن ثور، وفي الشرح: "إن الطير تتبعه لتصيب مما يقتل، وذلك؛ لأن الذئب يتبع الجيش طمعاً في أن يتخلف رجله فيثب عليه؛ لأنه من بين السباع ما لا يرغب في القتلى، ولا يكاد يأكل إلا ما فرسه". وهذا مناقض لإجماعهم على افتراس الذئبُ القتلى، والمعنى إذن، أكـل القتلى بدافع الجـوع، أو لعـل هذا هو الضبع.

---

(١) David Lambort, Birds (London: Warivick press, 1982) p. 67.

(٢) Mech, The Wolf pp. 287-288.

(٣) ابن منظور، اللسان، "سرح". السرحال: لغة في السرحان: أي الذئب.

(٤) العود، ديوان جران العود، ص٥٣. الأعور العين: الغراب.

وفرق بين الاعتداء وهذه الحالة :

إذا ما غدا يوماً رأيت غَيابةً من الطير يَنْظُرْنَ الذي هو صانع[١]

ووصف كعب بن زهير الغراب والذئب، وبيّن تلك الصحبة الدائمة بينهما، فقال:

وحَمْشٌ بَصيرُ المُقْلَتَيْنِ كأنه إذا ما مشى مُسْتَكْرِهِ الرِّيحِ أَقْزَلُ[٢]

يكاد يرى مالا تَرى عينُ واحد يُغير له ما غَيَّبَ التُّرْب مِعول[٣]

إذا حَضَراني قلت لو تَعلمانه ألم تَعلَما أني من الزّاد مُرْمِل

غرابٌ وذئب ينظران متى أرى مُناخَ مَبيتٍ أو مَقيلاً فأَنْزِل

أغارا على ماخَيَّلَت وكلاهما سيُخْلِفه مني الذي كان يأمُل[٤]

وقال الطرماح، يذكر فلاة، مبيّناً كيف أن الذئب يطرد الغراب، فيصيح الغراب مصفّقاً بجناحيه:

يَظَلُّ غرابُها ضَرِماً شَذاهُ

شَجٍ بخصومة الذئب الشَّنون[٥]

---

(١) الهلالي، ديوان حميد بن ثور، ص١٠٦. الغيابة: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه مثل السحابة والغبرة والظلمة ونحوها.

(٢) حمش: دقيق الساقين. مستكره الريح: مستقبل الريح. الأقزل: كالأعرج، غير متساوي الرجلين.

(٣) ما لا ترى عين واحد: كناية عن حِدّة البصر. المعول: حديدة حادة دقيقة.

(٤) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص ص ٥١-٥٢.

(٥) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج١، ص٢٠٣. شذاه: صوته. ضرم: كثير الصياح. شج: حزين.

وهكذا، قال الآخر، مبيّناً هذا التلازم بين الذئب والغراب:

أخـو الذئـب يعـوي والغـراب ومـن يكـن
شَريكَيْـه يَطْمَـعْ نَفْسَـه شَـرَّ مَطْمَـع[1]

أما الأخطل، فيقدّم صورة رائعة لهذا الاجتماع في قوله:

وأَرّقني مـن بعـد مـا نِمتُ نومـةً وعضبٌ جَلَت عنه القيون بطاني
تَصاخُبُ ضَيْفَـيْ قَفـرة يَعرِفانها غراب وذئب دائـم العسـلان
إذا حضرانـي عنـد زادي لـم أكن بخيـلاً ولا صَبّاً إذا تَركانـي
إذا ابْتَدَرا مـا تَطْرَحُ الكَفُّ فاتـه به حَبَشِـيٌّ كَيِّـس اللَّحَظـان[2]
يُباعِـدُه منـه الجَنـاح وتـارةً يُراوح بين الخَطْـو والحَجَـلان[3]
إذا غشياني هيلَتِ النَّفْسُ منهمـا قُشَعْرِيرَةٌ وازدَدْتُ خَوْفَ جَنان[4]

ولقد قالت العرب:

تركـت عَوفاً في مغانـي الأصـرم[5]

---

(١) ابن الشجري، الأمالي، ج ١، ص٣٠٩. وفي الحاشية: "جعل الذئب والغراب بمنزلة الواحد، فأعاد عليهما ضميراً مفرداً؛ لأنهما كثيراً ما يصطحبان في الوقوع على الجيف". والمعروف أن الذئب لايأكل الجيف، بل "القتلى". ولعل هذا هو الضيع.

(٢) ابتدرا: استبقا. فاته: سبقه. اللحظان: المراقبة.

(٣) الحجلان: مشي العقيد.

(٤) الأخطل، شعر الأخطل، ج١، ص ص٢٩٤-٢٩٥.
هيلت: فزعت. جنان: قلب. يقول: أتطيّر من الغراب، وأخاف من الذئب.

(٥) الميداني، مجمع الأمثال، ج ١، ص١٤٧.

ويقال للذئب والغراب: الأصرمان.

يقول: تركته في منازل لا أُنُس بها، ولا يسكنها إلا الذئب أو الغراب.

وقالوا:

"كالغراب والذئب.

الذئب إذا أغار على الغنم، تبعه الغراب، ليأكل ما فضل منه"[١].

ويبيّن شدة تلازم الذئاب والغربان، وما يبثّانه في نفس المسافر في مجاهل الصحراء من خوف ووحشة قول أحدهم:

وإني امـرؤ لا تقشعِـرُّ ذؤابتي من الذئب يعوي والغراب المحجَّل[٢]

الطيور البرية الجارحة

النسور:

من الثابت علميّاً أن النسور تجتمع مع الذئاب على الفرائس، إلا أن الملاحظ هو أن النسور لا تتقدم حتى تُفسح الذئاب لها الطريق [٣]، ولكن التراث العربي يذكر أنها تجتمع مع الذئاب في الصحراء، فالفرزدق يذكر أن النسور تزاحم الذئاب على الجثث المطروحة في تلك الأرض العطشى، فتلطم أعينها بأجنحتها، وتحتك بها، أما الغراب كما رأينا، فكان يقترب على حذر، يقول:

تركنـا عليهـا الذئبَ يَلْطُـمُ عَيْنَـه نهـاراً بزَوْراءِ الفَـلاة نُسورُهـا[٤]

---

(١) المصدر نفسه، ص١٦٠.

(٢) ابن منظور، اللسان، "حجل".

(٣) Harrington, Wolves of the World p. 184.

(٤) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج١، ص٢٤٥.

وقال الراعي:

بِمَلحمـــة لا يَسْتَقِـــرُّ غرابهـــا دَفيفاً ويُمسي الذئب فيها مع النسر[١]

العقبان:

لدينا قصيدة قالها امرؤ القيس، تصور مطاردة عقاب للذئب، يقول فيها:

كأنَّها حينَ فاضَ الماءُ واحْتَفَلَتْ صَقْعاءُ لاحَ لَها بالسَّرْحة الذِّيبُ[٢]

فَأبْصَرَتْ شَخْصَهُ مِنْ رَأسِ مَرْقَبَةٍ ودُونَ مَوْقِعِهـــا مِنْهُ شَناخيبُ[٣]

صُبَّتْ عليه ومـــا تَنْصَبُّ منْ أَمَمٍ إنَّ الشَّقاءَ على الأَشْقَيْنِ مَصبوبُ

كالدَّلْـوِ بُتَّتْ عُراهـــا وهـــي مُثْقَلَةٌ وخانَهـــا وَذَمٌ منهـــا وتَرْكيـــبُ[٤]

وَيْلُمِّها مـــن هَـــواءِ الجَـــوِّ طالبةً ولا كهذا الذي في الأرض مَطلوبُ[٥]

---

(١) الراعي، شعر الراعي، ١٧٨.

الملحمة: الحرب ذات القتل الشديد والوقعة العظيمة. الدفيف: أن يدف الطائر على وجه الأرض، يحرّك جناحيه ورجلاه بالأرض وهو يطير، ثم يستقلّ.

(٢) احتفلت: يعني اجتهدت في العدو. الصقعاء: العقاب، وإنما سميت صقعاء لبياض في أعلى رأسها. السرحة: الشجرة الضخمة. فاض الماء: يريد العَرَق. ويقال: السرحة هاهنا: اسم موضع معروف.

(٣) مرقبة: موضع مشرف، يعني أن العقاب أبصرت خيال الذئب. الشناخيب: رؤوس في أعالي الجبال لايعلو عليها إلا ما طار، والواحد شنخوب. الأمم: القرب أو القصد.

(٤) بتت: أي قطعت. الأوذام: سيور تعلق بعرى الدلو، والواحد وذم، والواحدة وذمة. التكريب: أن يشد خيط من قنب أو شعر مع الدلو إلى الرشاء – وهو الحبل ليكون عونا واستظهارا متى انقطعت عروة أو انحلت عقدة أمسكها فلا تقع في البئر، وإنما يفعل ذلك بالدلو الضخمة.

(٥) ويلمه: اللفظ به ذم، وهو في الظاهر عندهم مدح. الجو: جو السماء، وهو الفضاء. الهواء: ما مددت فيه بصرك من أعلى. الطالبة: العقاب. وقوله: ولا كذا: يريد الذئب، يقول: ولم أر كنجاته وهربه منها نجاء وهو مطلوب.

كالبَرْق والريح شَدًّا منهما عَجَباً ما في اجتهادٍ من الإسراع تَغْبيبُ[١]

فَأَدْرَكَتْـــهُ فَنَالَتْـــهُ مَخَالِبُهـــا فانْسَـلَّ من تحتها والدَّفُّ مَنْقوبُ[٢]

يَلوذُ بالصَّخْـر منها بعدمـا فَتَرَتْ منها ومِنْهُ علـى العَقْـبِ الشَّآبيبُ[٣]

ثُمّ اسْتغـاثَ بدَحْـلٍ وَهْـيَ تَعْفِرُهُ وباللِّســانِ وبالشِّدقَيْــنِ تَتْريبُ[٤]

مـا أخطأتـه المنايـا قِيـسَ أُنْمُلَةٍ ولا تحـرّز إلا وهــو مكــروبُ

فَظَـلَّ مُنْجَحِـراً منهـا يُرَاقِبُهـا وَيَرْقُبُ العَيْشَ إنَّ العَيْشَ مَحْبوبُ[٥]

وإذا كان الذئب عند امرئ القيس قد نجا من العُقاب، فإن العقاب في تصوير النعمان بن بشير الأنصاري لا يدع للذئب فرصة للنجاة، يقول في صفة فرس:

كأنهـا لِقْـوَةٌ شَغْـواءُ خائِنَـةٌ ولّـى لِيَسْبِقَهـا بالأَمْعَـزِ الذِّيـبُ

صُبَّت عليه ولم تَنْصَبَّ من كَثَب إن الشقاء على الأَشْقَيْنَ مَصبوبُ[٦]

---

(١) تغبيب يقول: ليست فيهما بقية من السرعة والعدو.

(٢) الدف: الجنب، والدَّف والدُّف: الذي يلعب به.

(٣) يلوذ: يلجأ ويطيف بالصخر، فترت: أي ضعفت عن العدو. العقب: جري بعد جري. الشآبيب، جمع الشؤبوب: وهو دفعة من مطر.

(٤) الدحل: هوة ومدخل في الأرض أو جبل. قوله: وهي تعفره: يعني تضرب به التراب، وهو العفر. الشدقان: مثنى الشِّدق، وهو جانب الفم. تتريب: تفعيل، من التراب.

(٥) ابن حجر: ديوان امرئ القيس، ص ص ٢٢٧-٢٢٩. الشغواء: التي يختلف أعلى منقارها وأسفله. الخائنة: التي تنقض فيسمع صوت انقضاضها. الأمعز: المكان الصلب من الأرض. منجحراً: أراد داخلاً في جحر الذل. يراقبها: أي يحارسها وينظرها. ويرقب: ينتظر. وقارن هذه الأبيات بأبيات ذي الرمة، ديوان ذي الرمة، ج ١، ص ص ١١٢٥-١٢٣٥.

(٦) أبو العلاء، أحمد بن عبدالله المعري، الفصول والغايات، تحقيق: محمود حسن زناتي (بيروت: المكتب التجاري، ١٩٦٨م) ص٤١٤.

وكذلك، فعل حاجب بن ذبيان المازني التميمي، الشاعر الأموي الذي لايدع للذئب فرصة للنجاة، والذي يقول في صفة فرس أيضاً:

طوى الضُّمر منه البطن حتى كأنه عقاب تدلت من شَماريخ كبكب[١]

تبادر جُنح الليل فرخين أقْوَيا من الزَّاد في قَفْرٍ من الأرض مُجْدِب[٢]

فلما رأت صيداً تَدَلَّت كأنها دَلاة تَهاوى مرقباً بعد مرقب[٣]

فشَكَّت سوادَ القلب من ذئب قفرة طويل القَرا عاري العظام مُعَصَّب[٤]

وقال الشماخ في وصفها:

تطارد سيد صاراتو ويوماً على خِزَّان قارات الجموعِ[٥]

وقال سؤر الذئب:

عُقابُ يَحُثُّها عِسبار[٦]

وقال ابن كُناسة، يصف فرساً:

كالعُقاب الطَّلوب يَضْرِبُها الطَّـ ـلُّ وقد صَوَّبَت على عِسبار[٧]

---

(١) الضمر: الهزال. كبكب: جبل بعرفات. الشماريخ: رؤوس الجبال. الدلاة: الدلو.

(٢) جنح الليل: طائفة منه. أقوى: أقفر.

(٣) تهاوى: تتساقط. المرقب: الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب. سواد القلب: حبته. القرا: الظهر. المعصب: الجائع.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص٢٤٩.

(٥) الشماخ بن ضرار الذبيان، ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تحقيق: صلاح الدين الهادي (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٨م) ص٢٣١. السيد: الذئب. صارات: جمع صارة، يقصد جبل "صارة"، بالقصيم. خزان: جمع خزن: وهو ذكر الأرانب. قارات: جمع قارة، وهي الجبل والأكمة العظيمة. الجموع: موضع، بـ"الشُّرَيف".

(٦) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص١٨٢.

(٧) المصدر نفسه. صوبت: انقضّت.

وذكر المعري هذه الظاهرة، فقال:

"العقاب توصف بأنها ربما أخذت الذئب"[١].

ونتبين في ضوء هذه المعلومات أن العقاب، مهما بلغ حجمها وقوتها، فإنها لن تستطيع أخذ الذئب الذي ذكروا صفاته، وعرفوا أنواعه، ولابد، إذن، أن يكون هذا الذئب، ذئباً صغيراً، قليل التجارب، أو أنه ذئب منهك، متعب، أضعفه الجوع أو المرض وأهزلاه؛ فهو في حجم الأرنب، أو الثعلب، أو أكبر منهما قليلاً، ولعل هذا واضح من وصف حاجب للذئب بأنه: "عاري العظام معصب". وربما دفع الجوع بهذه العقاب أو أمثالها، إلى محاولة مهاجمة حيوان أكبر حجماً.

يقول أبو نواس:

أو لَقْوَةَ أُمُّ أنيهِمَين في لُجُفٍ شَبيهتيها شَفا خَطمٍ وآماقا

مُهَبَّلٍ دينُها إذا قلبَت إليه من مستكفٍّ الجو حملاقا [٢]

ولقد جاء في قول صخر الغي أن صيدها الأساسي هو الأرانب، وأنها عندما حاولت صيد الغزال، عثرت، فانكسرت جناحها، وماتت:

ولله فَتْخاءُ الجناحين لِقْوَةٌ تُوسِّدُ فرخَيها لُحومَ الأرانب[٣]

---

(١) المعري، الفصول والغايات، ص٤١٤.

(٢) اللقوة: أنثى العقاب. الأنيهم: الإفراط في الشهوة إلى الطعام. اللجف: جمع لجاف، ما كان ناتئاً في الجبل، ومشرفاً على الغار. وانظر، كشاجم، المصايد والمطارد، ص٩٧. المستكف: المستوضح من أعلى. الحملاق: باطن الجفن الأحمر والذي إذا قُلب للكحل، بدت حمرته.

(٣) الحسن بن هانئ أبو نواس، ديوان أبي نواس، تحقيق: بدر الدين حاضري محمد حمامي (بيروت: دار الشرق العربي، د-ت). مهبل: ذو اللحم المورم وجهه. المستكف: المستوضح من أعلى. الحملاق: ما ولي المقلة من الجفن. الفتخاء: اللينة مفصل الجناح.

ثم يقول:

فَخَاتَـت غزالاً جاثمـاً بَصُـرَت به ... لدى سَلَماتٍ عند أَدْماءَ سارِب [١]

فمرَّت علـى رَيْـدٍ فَأَعْنَـتَ بعضَهـا ... فَخَرَّت على الرجلين أَخْيَبَ خائب [٢]

بِمَتْلَفَـةٍ قَفْـرٍ كـأنّ جَناحهـا ... إذا نهضت في الجو مِخراق لاعب [٣]

ثم يقول:

وقد تُرِكَ الفرخان في جوف وَكرها ... ببلدةٍ لا مولى ولا عند كاسب [٤]

فلم يرهـا الفرخـان بعـد مسائها ... ولم يهدآ في عُشِّها من تَجاوب [٥]

أما نوع العقاب المفترض وجوده في الجزيرة العربية في ذلك الزمان، فهو المسمى بـ: "فيرو" Aquila Verraauxi، ويمتاز هذا النوع من العقبان بأنه: "عقاب جبال وصحارى نائية، ومن طيور شمال شرق أفريقية وجنوبها، لونه أسود كله، أما خوافيه وحلقه، وأعلا ذيله، فبيضٌ. أعلى المنقار، والأقدام، برتقالية اللون، طيرانه في الجو يخلق منظرا غاية في الروعة. يهَوى المرتفعات. يعيش على صيد الأرانب، والوَبَر، وغيرهما. إنه طير يصيد متى أراد"[٦].

---

(١) خاتت: انقضت على غزال. جاثم: رابض. أدماء: بيضاء، أي الظبية. سارب: سارحة تطلب المرعى.

(٢) الريد: نتوء في الجبل. أعنت بعضها: أصابه بعَنَت، أي كسر جناحها، فخرّت.

(٣) متلفة: مهلكة. نهضت: طارت. مخراق لاعب: يشبه جناحها بآلة اللعب "المخراق" من سرعة تقليها في الجو.

(٤) بلدة لا مولى: أي ليس لهما مولىً يقوم بأمرهما. ولا عند كاسب: أي: لا أحد يقوم بأمرهما.

(٥) السكري، شرح أشعار الهذليين، ج١، ص ص٢٥٠-٢٥٢. تجاوب: يجيب كل واحد منهما حاجته. وانظر، صورة مطاردة العقاب للثعلب في مطوّلة عبيد بن الأبرص؛ ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق: شارلز لايل (ليدن – مطبعة بريل، ١٩١٣م) ص ص ١٠-١١.

(٦) Leslie Brown, & Deen Amadon, Eagles, Hawks and Falcon of the world (England: Balding & Mansoll, ist, ed., 1968) 69, 72 - 74, 149.

وانظر: صورة عقابٍ قَبَضَ بمخالبه على طفل:

Seidensticker, Dangerous Animals, pp. 24 - 25.

وينطبق هذا الوصف على العقاب: "الضّرار"، العظيمة، الكدراء، التي تضرب إلى التوشيم، أي: (ذات اللون)، وهي التي توصف بأنها: "عجزاء"، أي في ذنبها ريشة بيضاء أو ريشتان، وهي كذلك: "الشعراء"، أي: التي في جناحها قوادم بيض، وهي العَنْقاء، والفَتْخاء، والقَنْوَاء، واللّموع، والمَلاَع [١].

وقد كان هذا النوع موجودا في فلسطين إلى وقت قريب [٢].

الحشـــرات

تأكل الذئاب الحشرات إذا اضْطُرّت إلى ذلك[٣].

ومنها في الأدب العربي:

الهيشة (أم حبين)

قال أحد الشعراء:

أشكـــو إليـــك زمانـــاً قـــد تعرقنـا

كمـــا تَعَـــرَّق رأسَ الهَيْشَـــة الذيـــبُ[٤]

وهو بيت غريب، ذلك أنه جاء في تعريف الهيشة عدة أقوال منها:

"الهيشة: أم حبين، ولعلها دويبة العظاءة، حمراء تلزق بالأرض"[٥].

وجاء في اللسان عن "الحرباء"، مما يلقي الضوء على "أم حبين":

"أم حبين: أنثى الحرباء، والحرباء: دويبة قذرة، على شكل سامّ أبرص، ذات قوائم أربع، دقيقة الرأس، مخططة الظهر، تستقبل الشمس نهارها برأسها،

---

(١) الباشا، الصيد عند العرب، ص١٣٣. وانظر: ص١٣٢-١٤٢.

(٢) Brown, & Amadon Eagles..., p. 672 - 673.

(٣) Mech, The Wolf, p178. Gross, Mammals of the Arabian Gulf, p. 44.

(٤) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ٢، ٦٧٨.

(٥) المصدر نفسه.

وتكون معها كيفما دارت، وهي تنتصب على الحجارة، وعلى أجذال الشجر، فإذا زالت الشمس، زالت معها، مقابلاً لها"[١].

أما عن "أم حبين" في التاج:

"أم حبين: دويبة على خِلقة الحِرباء، عريضة الصدر، عظيمة البطن، على قدر كف الإنسان، غبراء، لها قوائم أربع، وهي بقدر الضفدعة التي ليست بضخمة، فإذا طردها الصبيان، قالوا لها:

أُمَّ الحبيـــــن انشـــــري برديـــــك

إنَّ الأميـــــر ناظـــــر إليـــــك

فيطردونها، حتى يدركها الإعياء، فحينئذ تقف على رجلها منتصبة، وتنشر جناحين أغبرين على مثل لونها؛ وإذا زادوا في طردها، نشرت أجنحة" كُنَّ تحت ذينك الجناحين، لم يُر أحسن لوناً منهن: ما بين أصفر وأحمر وأخضر وأبيض، وهن طرائق، بعضها فوق بعض، كثيرة جداً، وهي في الرِّقّة على قدر أجنحة الفراش، فإذا فعلت ذلك، تركوها"[٢].

وجاء القالي في أماليه بتعريف للورقاء، فقال تعليقا على قول الشاعر:

إنـــي رأيتـــكَ كالورقـــاء يُوحِشهـــا

قُـــربُ الأليـــف وتَغشـــاه إذا نُحِـــرا

"الورقاء:

دويبة تنفر من الذئب وهو حي، وتغشاه إذا رأت به الدم"[٣].

---

(١) ابن منظور، اللسان، "حرب". وانظر عن "أم حبين"، غالب، حيوانات لبنان البرية، ص ص ١٢١-١٢٢. أجذال الشجر: أصول الأشجار الباقية منها.

(٢) ابن منظور، اللسان، "حبن"، وانظر، الزبيدي، التاج، "حبن".

(٣) القالي، الأمالي، ج١، ص٦٩. ولكن البكري نقل عنه في سمط اللآلئ، ج١، ص٢٤٢، أنه قال: "الورقاء: ذئبة تنفر من الذئب وهو حي، وتغشاه إذا رأت به الدم".

فهل هذه الورقاء، هي الهيشة، أم أم حبين؟

لأن المفروض أن يكون "الذيب"، في البيت الأول: "كما تعرق رأس – الهيشة – الذيب"، مفعولا به: "الذيبا"، أو أن يكون مجروراً، والمفعول به "رأس"، تفصله "الهيشة" بين المتضايفين.

الجراد

لاشك أن كل نوع من الذئاب يتكيف مع بيئاته، فإذا كانت الذئاب الأوربية، تأكل في حالات الجوع الشديد الديدان والقواقعَ والجعلانَ وسواها،[1] فإنه من المعقول أن يأكل الذئب العربي الجراد، إذا كان متوافرًا لديه، وأمكنه من الحصول عليه، يقول أحدهم في ذلك:

غَـــدَا كَالعَمَلَّـــسِ فـــي حُذْلِـــه
رُؤوسُ العَظـــــارِيِّ كالعُنْجُـــــد[2]

الزواحـــف

الثعابين

ليست الثعابين مما يأكله الذئب رغبةً، وإنما تأكلها الذئاب جوعاً وحاجة، وتحديداً في الصيف، وفي التراث العربي ما يشير إلى هذا. يقول خلف الأحمر في أبيات جاء في أحدها:

أبـــى الحـــاوون أن يطـــأوا حِمـــاه
ولا تَســـــري بَعقوتـــــه الذئـــابُ

---

(١) انظر: Mech, The Wolf, p. 178,

(٢) ابن منظور، اللسان، "عظر". العملس: الذئب. العظاري: ذكور الجراد. في حذله: حجرة إزاره. العنجد: الزبيب.

وقد سُئل خلف عن ذلك، فقال: "لأن الذئاب تأكل الحيات"[١].

ويقول موسى بن جابر الحنفي، الشاعر الإسلامي:

طَـــرَدَ الأَروى فمـــــا تقربـــــه

ونَفَى الحَيّات عن بَيْض الحجل [٢]

وقد فسر حيان بن عتبى هذا على أن الذئاب تأكل الحيات[٣].

وهذا ما تحقق منه الجاحظ بعد ذلك فقال، تعليقاً على تفسير حيان: "فظننت أنه حدس، ولم يقل بعلم"[٤].

ولكن ابن قتيبة يقول، تعليقاً على قول خلف السابق: "لا نعلم أن أحدا قال ذلك"[٥].

وها نحن نرى خلفا قال مثلما قال الحنفي، ثم أثبته حيان، وجاء العلم ليقرّه[٦].

الضِّباب

تأكل الذئاب جميع الحيوانات التي تصادفها في طريقها، كالأرانب، والفئران[٧]، مثلا. وفي الصحراء توجد كذلك الضباب. وقد أخبرنا الطرماح أن الذئب يأكل الضب، وهي معلومة لها قيمتها، إذ تكشف عن وسائل تغذية الذئب العربي. والصورة التي رسمها تتفق كثيرا مع الصورة التي أُخذت عن الذئب في الدراسات الحديثة، حيث يراوغ الأرنب مثلاً في جحره، فيترصده الذئب من فتحة الجحر الأخرى، ويبدأ بإثارته حتى

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ج٤، ص٣٧٩، ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج٢، ٦٦٧. العقوة: الساحة وما حول الدار.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ج٤، ص٢٨٠.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج٢، ص٦٦٧.

(٦) Mowat, Never Cry Wolf, in geat stories.. pp. 147, 179 . Mech, the wolf, p. 178.

(٧) يحيل: يقيم حولاً. الأحل: في رجله حلل، وهو استرخاء في الرجل. ذوات المرادي: الضباب؛ والمرادي: جمع مِرداة. الرزح: المهازيل. مناق: سمان، بها بَقِي، وهو الشحم.

يتمكن منه. والطرماح يحكي هنا أن الذئب يطارد الضب بين الصخور، فكلما فلت منه من جهة ما، جاءه من الجهة الأخرى، حتى يقبض عليه، يقول:

يُحيلُ به الذئب الأَحَلُّ وقوته ذواتُ المَرادي من مَناقٍ ورُزَّح
إذا استترت منه بكل كدايةٍ من الصخر وافاها لدى كل مسرح[١]

وهذا يبيّن أن الذئاب تعتمد اعتماداً كبيراً في عيشها في الصحراء على موجوداتها، خاصة الضباب في فترات الربيع[٢].

صيد البحر

السمك

وقد لوحظ أن الذئب يأكل الأسماك[٣].

ترصد الذئاب صيادي السمك، فيُلقون لها من الصيد شيئاً، وإلا قطعت المصايد حين تُبسط[٤].

أجزاء الحيوان

الجلد

ونذكر هنا أن الجلود مما تأكله الذئاب.

يقول المعري:

كأنّي إذ نَبَذتُ لـهُ عِصاماً
وهبت له المطيَّة والمزادَا

---

(١) ابن حكيم، ديوان الطرماح، ص١٠٠. الكداية: الصخرة. المسرح: الموضع الذي ترعى فيه.

(٢) انظر، Gross, Mammals of the Southern Gulf, p. 44

(٣) Mech, The Wolf, p. 178.

(٤) المعري، سقط الزّند، (القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٤٥م) ج٢، ص٥٩٩.

والعصام: ما يُشَدّ به فم المزادة والقربة من شراك، أو خَيط؛ وربما كان من جلد، والجلد مما يأكله الذئب[١]. وهذا يدل على مبلغ الجوع الشديد الذي كان يتعرض له الذئب في الصحراء العربية.

ويقول تأبط شرّاً: إنه طرح له نعلاً من الجلد، فكانت له كرشفة الخمر وقد بَرَّدها ندى آخر الليل:

طرحتُ له نعلاً من السِّبت طَلَّةً ... خلاف نَدىً من آخر الليل مُخْضِل[٢]

العظام

ومن الثابت أن الذئب يقضم العظام، ويأكلها[٣].

والذئب يقضقض العظام[٤].

قال خفاف بن ندبة:

فتُوردُني لِرَبْع أو لِخَمس ... مياهَ القَيْظ طامية جِماما[٥]

قليلاً مَنْ عليها غير أني ... أُثَوِّرُ من مَدارِجها الحماما[٦]

دَعَرْتُ الذئبَ يَحْفِرُ كلَّ حَوْضٍ ... ويَقْضَمُ في مَعاطِنها العظاما[٧]

---

(١) المعري، سقط الزند، ج٢، ص ص ٥٩٦-٦٠٠.

(٢) تأبط شراً، ديوان تأبط شراً، السبت: الجلد المدبوغ. الطلة: الشربة: خلاف ندى: بعد نزول الندى. مخضل: مبتل.

(٣) Mech, The Wolf, p. 194.

(٤) ابن منظور، اللسان، "قضض".

(٥) لربع أو خمس: أي لأربع ليال أو خمس. جمام: ماء جَمّ كثير.

(٦) أثور: أنهض. المدارج: الثنايا الغلاظ بين الجبال.

(٧) خفاف بن ندبة، شعر خفاف بن ندبة، جمع وتحقيق: نوري حمودي القيسي (بغداد: مطبعة دار المعارف، ١٩٦٧م) ص ص ٩٥-٩٦. ذعرت: أفزعت وأخفت. يقضم: يكسّر. المعاطن: مبارك الإبل.

وسبق أن مَرّ بنا قول أحدهم:

يـــارُبَّ ذئب باســـل مقـــدام

وبعده:

قـد ضافنـي في الليـل ذي التمـام

ثم قال:

يَقرِش مـا أُلقـي مـن العظـام

الطبيعـة

الصحراء

ترينا الأشعار الآتية أن الذئبَ ارتبط بالقَفْر والتوحش في أشعار العرب، وفيها وصف الصحراء المخيفة التي انقطع الناس عن ارتيادها، فليس يُسمع بها إلا أصوات البوم، وهي كناية عن الهلاك والموت، كما وضح ذلك المرقش، فقال:

وتسمع تزقـاءً مـن البُـوم حولنـا كما ضُرِبَت بعد الهُدُوء النَّواقسُ[1]

ثم إنه لولا أن الذي يقطعها قد اعتادها، وخَبِر معالمها، لما توقّى النجاة، يقول المرقش أيضاً:

وأعْرَضَ أعـلامٌ كـأن رؤوسهـا رؤوس (رجال) في خليج تَغامس[2]

إذا علـم خلقتـه يهتـدى بـه بدا علم في الآل أغير طامس[3]

---

(١) التزقاء: الصياح.

(٢) الأعلام: الجبال. الخليج: ههنا الخليج من السراب، شبهه بالماء. تغامس: تطفو تارة وتغرق تارة أخرى. في الأصل: "رؤوس جبال". وهذا لا يستقيم.

(٣) الأنباري، شرح ديوان المفضليات، ص٤٦٥-٤٦٦، الآل: السراب، طامس: خَفِيّ[٣].

وفي أبيات غيلان بن سلمة صورة واضحة على عزلة الذئب، وتوحشه، وانقطاعه في الصحراء، وهذه الصحراء شديدة الفقر، جرداء، مهلكة، يقول:

يتنوفةٍ جرداء يَجْزَعُها لَحِب يلوح كأنه سحل[١]

ويقول عبيد الله بن ربيع، واصفاً الصحراء القفر بأنها: "بيضاء إمليس"، لشدة فقرها:

وبيضاء إمليس إذا بتُّ ليلةً بها زارني عاري الذراعين مارد[٢]

وقد أضاف كعب بن زهير إلى سابقيه صفة: "صرماء"، أي: تصرم كل شيء، أي: أنها خلت من أي شيء يبعث الحياة، كما أنها تثير في النفس تلك المخاوف المتعلقة بوجود الجان، فيتخيلها السالك أناساً يتحدثون، وهذا تصوير بالغ الدقة لجفاف الصحراء وبعدها، يقول:

وصرماءَ مِذكارٍ كأنَّ دَوِيَّها بُعَيد جَنان الليل مما يُخَيَّلُ[٣]

حديثُ أناسي فلمّا سَمِعْتُه إذا ليس فيها ما أبينُ فأَعْقِلُ[٤]

ويبيّن الطرماح مخاطر الصحراء التي يعيش فيها الذئب، فيقول:

فعَرَّسْتُ لَمّا استَسْلَمَت بعد شَأوِه تَنائِفُ ما نَجّا بِهِنَّ هَجُوعُ[٥]

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٢٧٨. يجزعها: يقطعها.

(٢) الحموي، معجم البلدان، "بتيلة".

(٣) الصرماء: الأرض التي لا نبت فيها ولا ماء. المذكار: المَخوفة ذات الهول، والتي لا يسلكها إلا الذمر من الرجال. جنان: ظلمة. الدوي: الصوت، أي عزف الجن بها وتخيلهم.

(٤) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص ص ٤٥-٤٦.

(٥) ابن حكيم، ديوان الطرماح، ص١٨٩.

عرست: نزلت ليلاً. الشأو: الشوط والطلق. الهجوع: الرجل الغافل الأحمق.

ولعل أجمل وأكثر المقطوعات تأثيرا في النفوس في بيان معاناة الذئب في صحرائه العربية القاحلة، أبيات ذي الرمة التي بيّن فيها خلو هذه الأرض من أي سبب للحياة، مما أدى بالإبل إلى الهلاك، فقال:

إذا ما حَشوناهنَّ جَوْزَ تنوفةٍ سَباريتَ يَنْزو بالقلوب اهوِلالها[1]

رَهاءٍ بَساطِ الظَّهْرسيٍّ مخوفةٍ على رَكْبها أقلاتُها وضَلالها[2]

تعاوى لحسراها الذئاب[3] .....

ولكن الشنفرى الأزدي يعطينا صورة تجمع بين الصحراء والجبال. وهذا يعني أن الذئاب التي صوّرها الشنفرى تعيش على حافة الصحراء المحاذية للجبال، ولعل هذا الشيء يمكن تصوره في قصيدة الشنفرى؛ لأن الأزد قبيلة يمانية، وتعيش في المرتفعات الجبلية، فهو يقول، كما رأينا سابقاً:

وأغدو على القوت الزَّهيد كما غدا أزلُّ تهاواه التنائف أطحل

فهذا الذئب جاء من التنائف، أي: الصحراء الرملية، الأطراف الرملية للحجاز، عرق سبيع، ثم انتقل إلى الجبال، كما في قوله:

غدا طاوياً يعارض الريح حافياً يخوت بأذناب الشِّعاب ويَعْسِلُ

وعلى الرغم من ذلك، فإن أبيات الشنفرى تدل على أن مساكن الذئاب هي الصحارى، حيث إن ذئبه رجع أدراجه بعد إخفاقه في الحصول على الطعام في الجبال، فقال:

فلمّا لواه القوت من حيث أمَّه دعا فأجابته نظائر نُحَّلُ

---

(١) حشوناهن: أي الإبل أدخلناهن فيها. جوز: وسط. تنوفة: قفر. السباريت: جمع سبروت، وهي الأرض لا شيء فيها.

(٢) الرهاء: ما استوى واملاسّ من الأرض. البساط: الأرض المستوية. السي: الأرض المستوية. الأقلات: الهلاك.

(٣) ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ج١، ص ص٥١٦-٥١٧.

وهذا المشهد قريب من المشهد الذي رسمه أبو كبير الهذلي، إذ يبدو أن الماء الذي ترده الذئاب، كان على مرتفع جبلي؛ لأنه قال:

زَقَبٌ يَظَلُّ الذئبُ يَتْبَعُ ظِلَّه ... من ضيق مورده استِنانَ الأَخْلَفِ[١]

ويدل هذا على أن خبرة الذئاب بمكامن المياه في الصحراء أشدّ من خبرتها في المناطق الجبلية، وأن ملجأها دوماً هو الصحراء، لا الجبال.

والذئاب تأتي إليه مسرعة على ما يبدو من الصحراء؛ لأنه قال:

يَنْسِلْنَ في طُرُقٍ سَباسِبَ حولَه ... كقِداح نَبْلٍ مُحَبِّرٍ لم تُرْصَفِ[٢]

ولكن أبا كبير الهذلي يذكر أنه عثر على ذئبة فوق إحدى القمم الشاهقة[٣]، وهذا يعني أن الذئاب التي كانت ترد الأطراف الجبلية المتاخمة لمنطقة هذيل، وذلك إذا وضعنا هذه الصورة بجوار الصورتين الأخريين: الصورة التي عند الشنفرى والصورة السابقة عنده.

ويذكر الرجل من اليمن الذي أكل الذئب أمه، أن الذئب كان ببعض المذانب[٤]، أي: أنه كان في منطقة جبلية، ربما كانت قريبة من الصحراء الشرقية المتاخمة لوادي الجوف باليمن.

وإن نظرة إلى خريطة انتشار الذئاب في الجزيرة العربية[٥] لتؤيد هذا، فمنطقة

---

(١) الزقب: الطريق الضيق. الاستنان: العدو على جهة واحدة. الأخلف: الأعسر، المخالف المعوج.

(٢) السكري، شرح أشعار الهذليين، ج٣، ص ص١٠٨٥-١٠٨٦. السباسب: جمع سبسب، وهو المستوي البعيد. القداح: سهام الميسر. المحبر: المتأنق. لم ترصف: لم تُشَدّ عليه الرِّصاف، وهي عقبة تُشَدّ على مدخل الحديدة التي تدخل في رأس السهم.

(٣) المصدر نفسه، ص ص ١٠٧٦-١٠٧٧.

(٤) البكري، سمط اللآلئ، ج١، ص٣٧٨.

(٥) انظر، Kingdon, Arabian Mammals, p.76.

الذئاب تتركز في الصحراء، وبخاصة تلك التي تنبت الغضا، أو التي يتجمع فيها الرمل، ولذا قالوا: ذئاب الغضا.

وقالوا: ذئب القيصومة أو القصيم.

أي: الرمال المتجمعة (وإن كان المقصود هنا أرض القصيم من نواحي بريدة وعنيزة...).

وإجمالاً يمكن ملاحظة أن أشهر مناطق الذئاب هي منطقة شمال شرق القصيم حتى الحفر، إضافة إلى منطقة "الغضا" و"القصيم" تلك. يقول ياقوت:

"إثْبيت: فيها ذئاب تأكل الناس".

"فرع القبة، وفرع الحَفَر: بلدان لتميم، بين الشقين وأُود وخُفاف: وفيها ذئاب تأكل الناس".

وفي منطقة غرب اليمامة ذكروا: "قُرّان".

واشتهرت بعض المواضع باسم "الذئب"، وكانت بعض الدارات تحمل اسم: "دارة الذئب"، أو "دارة الذؤيب"[١].

وقال آخر، يذكر "قارات الحبل"، بشهرة ذئابها، وهي من نواحي شمال شرق الرياض:

مـــا أبالـــي ألئيـــم سبّنـــي أم عـــوى الذئب بقارات الحبل[٢]

وهناك الهدّار في منطقة الأفلاج، في قول شبوح:

أَتَذكُـــر عِمرانـــاً وتَنســـى عصابـــة بفُوَّهَـــة الهَـــدّار شَبْعـــان ذيبهـــا[٣]

---

(١) انظر: الحموي، معجم البلدان، "إثْبيت"؛ "الفَرْع"؛ "قبة"؛ "دارة الذئب"؛ "دار الذؤيب"؛ "قرّان"... إلخ.

(٢) المصدر نفسه، "قارات".

(٣) حمد الجاسر، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع (الرياض: دار اليمامة، ط١، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ص٣٨٦.

وفي جهات عفيف، هناك "الأخربان"، قال الصمة بن عبدالله القشيري:

ويومـا بقـاع الأَخْرَبين جـرى لنـا بنَحـسٍ ظِبـاءُ الأخربين وذيبهـا[١]

ومن المناطق الحجازية المذكورة فيها الذئاب، "بشم"، في نواحي عسفان، كما في قول أبي المؤرق الهذلي:

وكنتُ إذا سلكـتُ نِجـاد بَشـم رأيت علـى مراقبهـا الذئابـا[٢]

وحتى في العراق، هناك، "وادي السباع"، كما قال السفاح بن بكير:

يَعـدو ولا تَكـذِبُ شَدّاتُـه كمـا عـدا الذئب بوادي السبـاع[٣]

الأعشـاب والأشجـار

تحاول الذئاب ألا تكون مكشوفة للناس، فهي في أوروبا وأمريكا تعيش في الغابات، وفي أفريقيا والهند تكمن في الأدغال والأعشاب الطويلة. والذئاب العربية ليست بدعاً في ذلك، فهي على الرغم من الطبيعة الصحراوية للجزيرة العربية، وعلى الرغم من أنها لا تستطيع الاقتراب من المناطق الزراعية، إذ لابد لها أن تكون بعيدة عنها، أي: في الصحراء، خشية قتل الناس لها والفتك بها، فإنها لابد أيضا أن تكون آمنة، أي: لابد أن تبحث عن أماكن تسترها. ومن هنا وجدناها غير بعيدة عن المنطقة الرعوية التي كانت أبقار لبيد يرعين فيها، أي: يتوفر فيها العشب، ولكنها مناطق رملية كما وصف ذلك بـ"الشقائق"، أي: الأرض الغليظة بين رملتين. ولعلها كانت في هذه الأرض الغليظة قد حفرت جحورها. وقد صرَّح ابن مقبل بأن المنطقة رملية، فقال:

أو نعجـة مـن إراخ الرَّمـل أخذلهـا عـن إلفها واضح الخدين مكحول[٤]

---

(١) الصمة بن عبدالله القشيري، ديوان الصمة بن عبدالله القشيري، جمع وتحقيق: عبدالعزيز محمد الفيصل (الرياض: النادي الأدبي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ص٣٣.

(٢) الحموي، معجم البلدان، "بشم". نجاد: مرتفعات.

(٣) المصدر نفسه، "وادي السباع".

(٤) النعجة: البقرة الوحشية. الإراخ: الإناث الفتيات من بقر الوحش. أخذلها: خلّفها.

ثم قوله:

بِشُقَّةٍ مِن نَقا العَزّاف يَسْكُنُها جِنُّ الصَّريمة والعِين المطافيل[١]

ويتكرر هذا الموضع في شعر ابن أحمر، على أنه موضع تكثر فيه الأبقار، حيث يقول:

كأنّها بنقا العزّاف طاوية لمّا انطوى بطنها واخروّط السفر[٢]

كما أنها تعيش بين الخمائل، لأن بقرة لبيد عندما أدركت واقع أمرها، ذهبت حزينة تحت الخمائل، والخمائل في الصحراء، كما هو واضح، ولأمر ما اكتفى لبيد بمهاجمة الذئاب للعجل، ولم يجعلها تفترس الأم ليلاً بعد ذلك.

وتصادفنا عند الأعشى لفظة: "الغيل"، وهو الشجر الملتف، وهو هنا شجر الأراك، الذي وصفه بالخضرة وتدفق الماء في أغصانه، والظبية ترعى فيه، يقول، كما مضى ذكره:

في أراكٍ مَرْدٍ يكاد إذا ما ذَرَّتِ الشمس ساعةً يُهراق[٣]

وهذا الوصف الذي يجعل الشمس، إذا ما أشرقت، تُجَفِّف ما فيه من ماء، يدل على كثرة هذا الشجر في هذه المنطقة، وربما إلى جانب أشجار أخرى، وذلك لأن الأرض نفسها ريّانة.

ولم يحدد الأعشى نوع الأشجار في قصيدته العينية، ولكنه لابد أن يكون

---

(١) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص٣٨٤. النقا: القطعة من الرمل تنقاد محدودبة. العزاف: جبل من جبال الدهناء. الطاوية: البقرة الوحشية الضامرة. انطوى بطنها: أذهب السير شحمها وأذابه. اخروط: امتد وبعد. الشقة: الغلظ بين رملتين. الصريمة: الرملة المنفردة، انصرمت عن غيرها، أي انقطعت. العين: جمع عيناء، وهي الواسعة العين مع حسن الحدقة، يعني البقر الوحشي. المطافيل: ذات الأولاد.

(٢) الباهلي، شعر عمرو بن أحمر، ص٩٧.

(٣) الأعشى، ديوان الأعشى، ص٢٥٩. المرد: ثمر الأراك الأخضر، ذرت: طلعت. يهراق: يضمحل.

شجرا مرتفعاً، لأنه وصفه بأن له ظِلاً:

فظـل يخدعهـا عـن نفس واحدهـا في أرض فَيْءٍ بفعلٍ مثلُه خَدعا[١]

وقد ذكر النابغة الجعدي موضع: "ذي الذئبين"[٢]، ويبدو من واقع القصة، ومن اقترانه باسم الذئب على صيغة المثنى، أنه موضع تكثر فيه الذئاب، كما يبدو من جعلهم منامَ البقر تحت الشجر الكثيف، وغالباً ما يكون من شجر الأرطى، أن هذا الموضع كثير الأشجار. كما ذكر: "ذي الحوم"، ولعله أيضا سُمي بذلك لوجود الشجر فيه، وإن كان بلداً. وفي أبيات كعب ما يشير إلى أن الذئب عنده يعيش بين الشجر الكثير الملتف، حيث يقول:

بَصيرٌ بأدغـال الضَّـرَاء إذا خَـدَا يَعِيـلُ ويَخْفـى بالجَهـاد ويَمْثُل[٣]

وتحب الذئاب أن تقترب من الحشائش، فتمضغها ومنها: الأسروع، وهو: "طول الشبر، أطول ما يكون، وهو مزين بأحسن الزينة من صفرة وخضرة وكل لون، لا تراه إلا في العَسَب، وله قوائم صغار، ويأكلها الكلاب، والذئاب، والطير، وإذا كبرت، أفسدت البقل، فجُدِعَت أطرافه"[٤]. وهو الذي ذكره ذو الرمة، مما يدلع لى أنه ينبت في الرمل، وهو مرتاد الذئاب، يقول:

وحتى سرت بعـد الكرى في لَوِيّه أساريـع معروف وحَمَّرت جنادبه[٥]

---

(١) المصدر نفسه، ص١٥٥.

(٢) الجعدي، شعر النابغة الجعدي، ص ص١٩٥-١٩٦. في: ظِلٌ.

(٣) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص٤٩. الأدغال: جمع دَغَل وهو ما واراك من الشجر. الضراء: ما واراك من شجر وغيره. يعيل: يضرب في الأرض ويذهب ويدور. الجهاد: الأرض الغليظة لا نبات بها.

(٤) الزبيدي، التاج، "سرع".

(٥) المصدر نفسه. اللوي: ما ذبل من البقل.

إلا أن ابن فضل الله العمري يقول:

"والذئب من بين الحيوان لا يأكل ... العشب إلا عند مرضه، كما تفعل الكلاب، فإنها إذا اعتلت، أكلت عشباً من الأعشاب"(١).

ويذكر البستاني: "إذا لم يجد يأكل الثمار المتهرئة وأصول النباتات والخشب المنحلة أجزاؤه"(٢)

وتؤكد بعض الدراسات الحديثة أن الذئاب تأكل بعض الثمار، ومن المصادفة أن نجد أحد الذئاب يعترف بإفساد النخل صيفاً، وقت جني الرطب، يقول:

والنَّخـل أفسـده مـادام ذا رُطـبٍ وإن شتـوت ففي شـاء الأعاريب(٣)

أما كيف يكون ذلك؟ فلعله تفسير للقصة المصاحبة لصيد ذلك الذئب الذي عاث فساداً في "قران" و"كنزة"، من قرى اليمامة، فيهما نخل كثير، يقول:

إن كنـتَ مـن أهـل قَرّان فعَـدٌّ لهم أو أهـل كنزة فاذهـب غير مطلـوب

وفيما عدا هذا، فإن ملاحظات العرب لا تتفق مع الملاحظات العلمية في أن "الذئب لا يحوم حول شيء من البقول والنبات"(٤).

أو: الذئب لا يأكل إلا اللحم"(٥).

لأن الذئاب تأكل النباتات الخشنة Wild Fruit, wild obst، وثمار الحقول، وهي تقضم الأعشاب، وإن كان يعسر عليها هضم النباتات الخلوية، وتأكل بعض الفواكه(٦).

---

(١) العمري، مسالك الأبصار وممالك الأمصار، ص٥٩.

(٢) البستاني، دائرة المعارف، ص٤٣٥.

(٣) القزويني، آثار البلاد، ١٠٦.

(٤) أبو منصور، عبدالملك بن محمد بن إسماعيل، الثعالبي، ثمار القلوب في المضاق والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار نهضة مصر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م) ص٣٨٨.

(٥) الجاحظ، الحيوان، ١٤٦/٧.

(٦) Gross, Mammals of Southern Gulf, p.44. Michael Boora, Mammals of the World (London: Hamlyn, 1970) p.174.

أما أن الذئب يأكل البَلَح، فيؤيّده قول الأحيمر السعدي:

"كنت أرى النوى في رجيع الذئب"[١].

المـــاء

لقد أدى ابتعاد الذئب عن الناس وسكناه في الخلاء إلى معرفته بموارد الماء، وهي موارد لايستدل إليها إلا عالم بمتاهات الصحراء. ولذلك ذكروا لون الماء، ورائحته، للتأكيد على قدمه وعدم استعماله، وفي أبيات امرئ القيس توضيح جلي لذلك، بالإضافة إلى قوله: "قليل به الأصوات"، يقول:

ومـــاءٍ كلـــون البَـــول قـــد عـــاد آجنًـــا قليل به الأصوات في كَلأ مَحْـل[٢]

ويقول تأبط شرًّا:

نسقـــي قلائصنـــا بمـــــاء آجـــن وإذا يقـــوم به الخليـــع (يعيـل)[٣]

ولابد أن نشير إلى أن الذئاب تجعل من مناطق حمايتها ينابيع الماء، وهذا يعني أن الذئاب تتخذ من الصحراء مناطق حماية لها، بحيث لا تبتعد كثيراً عن الماء[٤]. وهذا واضح في قول ابن مقبل، مبينا سكنى الذئاب في الصحراء، ولكنه

---

(١) أبو عمر، أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وآخرين (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ٦/٢٣٨.

(٢) ابن حجر، ديوان امرئ القيس، ص٣٦٣-٣٦٤. كلون البول: في صفرته وتغيره. الآجن: المتغير الطعم. محل: مجدب.

(٣) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٢٠٨. ورواية البيت في ديوانه، ص١٨٢:

وواد كجوف العير قفر قطعته به الذئب يعوي كالخليع المعيل

والمهم هنا نوع الماء.

(٤) انظر: Harrison, Mammals of the Arabian Gulf, p. 49 , Mech, The Wolf pp. 120,151. أما ابن آوى، فيمكن أن يحيا دون ماء فترة طويلة. انظر، Kingdon, Mammals of Arabia, p. 76

يعرف مواضع الماء فيها:

يَطــوي المَفــاوزَ غِيطاناً ومنهلُــه مــن قُلّة الحَزْن أحواضٌ عَداميلُ[١]

ولكن يجب التنبه إلى أن من الذئاب، على الرغم من حرصها على أن يكون الماء من ضمن محمياتها، أنها لا تشرب كثيراً، بل تكتفي بقدر قليل منه، وذلك واضح من وصف ابن مقبل لمواقع المياه بأنها: "قُلّة الحزن"، والحزن: مكان غليظ خشن مرتفع، قلما يحتفظ بالماء، وما يحتفظ به هو أحواض قديمة، وهذا يوضّحه التعبير المتكرر: "ماء آجن"، ويوضح قلة شربه للماء قول امرئ القيس:

فقلــت عليــك الحوض إني تركته وفي صفوه فَضلُ القَلوص من السِّجل[٢]

فطــرَّب يستعــوي ذئابــاً كثيــرةً .....

فهو يشرب من هذا الماء الذي هو عبارة عن بقية مما شربت منه ناقته، ولكنه سيكتفي بما يسد الرَّمَق، وستأتيه ذئاب أخرى لتشرب منه.

وقال تأبط شرًّا:

وواد كجــوف العيــر قفــر قطعتــه بــه الذئــب يعــوى كالخليــع المعيَّل

طرحتُ لــه نَعْــلاً من السِّبتِ طَلّــةً خِلافَ نَدىً من آخر الليل مُخْضِل[٤]

فما شُربه إلا بقَدْر ما تحتويه تلك النعل مما أصابها من بلل النّدى. وفي هذا

---

(١) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص٣٨٧. المفاوز: الفلاة المهلكة. الغيطان: جمع غائط، وهو ما اطمأن من الأرض. منهله: مشربه. القلة: الأعلى. الحزن: المكان الغليظ الخشن. العداميل: القديمة.

(٢) المصدر نفسه. الصفو: بقية الماء. السجل: الدلو العظيمة.

(٣) ابن حجر، ديوان امرئ القيس، ص٣٦٣.

(٤) تأبط شراً، ديوان تأبط شرّاً، ص١٨٥. السبت: الجلد المدبوغ. الطلة: الشربة. خلاف ندى: بعد نزول الندى. مخضل: مبتل.

حجم ما يقاسيه الذئب في واد جفّ ماؤه كل الجفاف ، على الرغم من سعته.

وهذا واضح أيضا في وصف كعب بن زهير للصحراء بأنها لا ماء ولاشجر فيها: "صرماء مذكار"[١]، مما يدل على أن الذئب، وإن تكن منابع الماء من أحمائه، إلا أنه قد يحتمل العطش الشديد مؤقّتا؛ لأن الذئاب إنما تشرب الماء كثيراً، لو توافر لها الغذاء، كما هو الحال في غير الجزيرة[٢].

ومن العجيب أن نجد ذئباً ضلَّ الطريق عن الماء، ولعل الشاعر الذي التقى بالذئب في الفلاة، فوجده يكاد يشفي على الهلاك، لم يكن عطشان، كما أنطقه هو، وإنما كان جائعاً، وهي الحالة التي يتعرض لها الذئب دائماً. ويدل على ذلك أنه حتى بعد ما شرب من الماء، ظل منطرحاً حتى وَصَفه باللِّجام المُرْمَى:

وَهْـــوَ مُلقـــىً كأنَّـــه لِجام جوادٍ قـد تَحَنَّت مكاسره

فلما رمى له ببقية زاده، نشط، وراح يجر وعاء الزاد ليأكل ما فيه:

فعهدي به قـد جـاوزَ الماءَ صـادراً يَجُـرُّ جرابـي تـارة وينائـره[٣]

ويبالغ الكميت في وصف الذئب الذي لقيه، فيجعله ضريراً من شدة إعيائه، وأنه استقى قدراً قليلاً من الماء سَدَّ به رَمَقَه، وقليلاً من الزاد سَدَّ به جوعه، فقال:

وصُبَّ لـه شَـوْلٌ مـن المـاء غابـرٍ به كَـفَّ عنـه الحيـة المتحـوِّب[٤]

وتكاد تكتمل صورة الماء عند ذي الرمة الذي يؤكد أن الماء جزء من حمى الذئاب، والماء كما هو بيّن، ماء آجن ذو رائحة كريهة لقدمه، وإذا كان ابن مقبل قد

---

(١) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص٤٥.

(٢) Candace Savage, Wolves (London: Robert Hale Ltd., 1988) p. 139.

(٣) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج ١، ص ص٢٠٦-٢٠٧. الجراب: الوعاء.

(٤) الأسدي، شعر الكميت، ج١، ص ٨٦. الغابر: البقية الباقية. الشول: بقية الماء في السِّقاء أو الدلو، أو القربة أو المزادة. الحية: الإثم. المتحوب: الآثم.

جعل الماء فوق "حَزْن"، أي: مرتفع من الأرض لقلته، فإن ذا الرمة أيضاً يجعله قليلاً، ولكنه في منخفض من الأرض، ودليل قلته أنه قريب من السطح جدّاً، أي: هو عبارة عن حوض من الماء، فالمستسقي منه يستطيع أن يمد يده، فيغرف منه شيئاً ما، يقول:

ومن جَوْف ماءٍ عَرْمَضُ الحَوْلِ فوقه متى يَحْسُ منه مائحُ القوم يَتْفُلِ

به الذئبُ.....

وقوله مبيّناً صفة ذلك الماء في الصحراء الذي لا يهتدي إليه إلا ذو الخبرة والدلالة، مكنّياً عن ذلك بالقطا التي ترتاده، وهذا أيضاً يدل على قلته، بالإضافة إلى قوله: "أسارت"، أي: شربت سؤراً من الماء، أي قليلاً، يقول:

صَدَرْنَ بما أسْأرت من ماء آجن صَرِيٍّ ليس من أعطانه غيرُ حائل

سوى ما أصاب الذئب منه وسُرْبةً أطافت به من أُمّهات الجَوازل[٢]

ونتبيّن الدقة في ملاحظة حياة الذئاب من معرفتهم بأن الذئب، الذي اشتهر بجوعه ونهمه، يدرك بشكل غريزي، أن عليه أن يقاوم الجوع إذا ما عثر على غذاء بعيد عن مورد الماء الذي يشرب منه، ولذلك قال بعضهم:

في بَلْدَةٍ لا يَستطيعُ سِيدُها

حَسْرَى الأَراكيبِ ولا يَهيدُها

"يقول: إن الذئب في هذه البلدة لا يمس الحَسرى، ولا يقربها؛ لأن الماء بعيد

---

(١) ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ج ٣، ص ص١٤٨٧-١٤٨٩. الجوف: المطمئن من الأرض. العرمض: الخضرة على رأس الماء، وعرمض الحول: أتى عليه الحول. المائح: الذي يغرف بيده. ينفل: يبصق من ملوحته.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ص١٣٤٥-١٣٤٦. صدرن: ذهبن. أسارت: أبقت. صرى: قد طال حبسه. أعطانه: جمع عطن، وهو الموضع الذي يبرك البعير فيه إذا شرب. سربة: جماعة. الجوازل: القراخ.

عنها، فهو يخاف إن أكل، أن يعطش"[١].

وتبرهن لنا هذه الملاحظة أن الماء جد ضروري للذئب صيفاً، وتقل رغبته في الماء شتاء[٢]، فالماء لا غنى عنه له بعد تناوله وجبة طعام مليئة، فهو يشرب الماء بعدها كثيراً[٣].

ومما هو جدير ذكره في العلاقة بالماء أن السيول الجارفة كثيراً ما تضرّ بالذئاب، قال خفاف بن ندبة:

له حَـدَب يستخـرج الذئب كارهـاً يُمِـرّ غُثـاءً تحـت غـارٍ مُطَلَّـق[٤]

وفي ضوء المفهوم الخاص لـ"السباع"، بحيث تعني بشكل عام: الذئاب، وفي إطار هذه الصورة النمطية، فإن امرأ القيس يعني بـ"السباع": الذئاب، في قوله:

كـأن سباعـاً فيـه غرقـى عشيـة بأرجائه القُصـوى أنابيشُ عُنْصُل[٥]

وعلينا أن نتنبه إلى تضارب المعلومات في هذا الشأن، إذ ربما كان هناك سوء تقدير لحاجة الذئب إلى الماء، واضطراب بين النوعين: الذئاب وبنات آوى:

Jackals (Canis auereus Syriacus)

تختلف بنات آوى عن الذئاب، فبنات آوى في الغالب تعيش في المناطق المكتظة بالسكـان، حتى إنهـا لا تكون في العادة بعيـدة عنهـا بأكثر مـن كيلو مترين.

أما الذئاب، فتعيش في الصحارى، ولذلك فبنات آوى نادراً ما توجد فيها إلا

---

(١) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج ١، ص ١٩٠.

(٢) السكري، شرح أشعار الهذليين، ج١، ص١٩١.

(٣) Savage, Wolves, p. 139.

(٤) ابن ندبة، شعر خفاف ابن ندبة، ص٣٨.

(٥) ابن حجر، ديوان امرئ القيس، ص٢٦.

إذا توافرت المياه. ويعود ذلك فيما يُعتقد إلى حاجتها إلى الماء، وربما عاد ذلك إلى سهولة الحصول على الغذاء، أما الذئاب، فتبتعد بما يقرب من ٥٠كم.

ولعل ذلك يعود إلى أن الذئاب قليلاً ما تشرب الماء، وأنها تختزن الماء في أجوافها، وإن كانت لا تستغني عنه[١].

وكل ما سبق صحيح إلا أن الفكرة الأخيرة عن اختزان الذئاب الماء في أجوافها، غير صحيحة، وما قلة شرب الماء إلا خشية من أن يتعرض الذئب للعطش وليس؛ لأنه يختزن الماء في جوفه، فالماء ضروري لها، ولا سيما بعد وجبة مليئة[٢].

الأطلال

يذكر الشعراء في الشعر الجاهلي، كما في الشعر الإسلامي والأموي أن السباع، توجد إلى جانب الوحوش التي قد تعني بقر الوحش والغزلان، وهي ترتاد مناطق السكن القديمة التي أصبحت أطلالاً بعد رحيل أصحابها عنها. ولم يُحدد الشعراء جنس تلك السباع، وقد يخطر على البال أن الذئاب هي المقصودة بهذه السباع أو الوحوش. وفي الأدب الشعبي المعاصر إشارة واضحة إلى أن الذئاب ترتاد أطلال الأحبة[٣]. أما في الأدب العربي فالإشارة نادرة، مثل قول أبي خراش:

أمسى سَقامٌ خلاءً لا أنيس به ... غير الذئاب ومَرُّ الرِّيح بالغَرَف[٤]

---

(١) Harrington, Paquet, Wolves of the wold, p.90.

(٢) Mech, The Wolf, p.169.

(٣) انظر: عبدالله بن خالد، خيار ما يلتقط من الشعر النبطي (دمشق: المطبعة العمومية، ١٩٥٢م) ص٨٧٣. ماجد بن صالح الخليفي، ديوان الخليفي (الدوحة: دار الكتب القطرية، ١٣٨٣هـ) ص٦٢.

(٤) ابن منظور، اللسان، "عوف". سقام: اسم واد. الغرف: شجر يدبغ به، فإذا يبس، فهو الثمام، وقيل: هو الثمام عامة. وانظر: السكري، شرح أشعار الهذليين، ج٣، ص١٢٢٨.

وكقول ابن مقبل:

وبُـدِّل حـــالاً بعـد حـال وعيشـةً بعيشتنـا ضَيـــقُ الرِّكـاء فعاقلـه

سَخاخاً يُزَجِّي الذئبُ بين سُهوبها وَفَحْـــلُ النَّعـــام رِزُّه وأزامِلـــه[1]

ومثل قول أبي عدنان: إن الذئاب هي التي تسكن تلك الأطلال، ويشمل هذا الجنس كل أنواع الذئاب التي ذكرها الشعراء مثل السمع، والدّويل، أي: الذئب، والعسبار:

..... وسنداوة فضفاضةٌ وحضـاجر[2]

وسِمْـعٌ خَفِـيّ الرِّزِّ ثِلْبٌ ودَوْبَـلٌ وثُرْمُلَـــةٌ تَعتادهـــا وعَسابِـــرُ[3]

وعلى هذا، يكون المقصود بالسباع في قول أبي ذؤيب هو: الذئاب (التي وصفها بأنها تأكل الناس):

أَصبَحَ من أمِّ عمرو بَطْنُ مَرٍّ فأكـ ـناف الرجيع فذ وسِدْرٍ فأملاحُ

وَحْشـاً ســوى أن فُرّاط السِّبـاع بهـا كأنهـا مـن تَبَغِّـي الناس أَطْـلاح[4]

فالمقصود بالسباع، على هذا، هو: الذئاب؛ ولذا:

"يقال في السَّبِّ: بفيه العفاء، وعليه العفاء، والذئب العوَّاء، وذلك أن الذئب يعوي في إثر الظاعن، إذا خلت الدار عليه"[5].

---

(١) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص ص٢٤٠-٢٤٢. السخاخ: الأرض اللّيّنة. الرز: الصوت. الأزامل: الأصوات المختلفة.

(٢) السنداوة: الذئبة. الفضفاضة: اللحيمة. الجسيمة. الحضاجر: اسم للضبع أو لولدها.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص١٨٥. الثلب: الهَرِم. الثرملة: من أسماء الثعالب.

(٤) السكري، شرح أشعار الهذليين، ج١، ص١٦٤. فراط السباع: ما تقدم من السباع، ولا ينفرد من السباع إلا أخبثها. الأطلاح: المعيبة.

(٥) ابن منظور، اللسان، "عفا".

التـــراب

لم تذكر المراجع العلمية أن الذئاب تأكل التراب، وهي ملاحظة قالها ابن فضل الله العمري: "الذئاب لا تأكل التراب" [١]، إلا أن الثعالبي خالف هذا، فقال: "الذئب لابُدّ له من شيء يُلقيه في جوفه، فربما استَفّ التراب"[٢].

وإن كان هذا – إن صحّ – في حالة انعدام كل شيء يأكله.

(١) العمري، مسالك الأبصار وممالك الأمصار، ص٥٩.

(٢) الثعالبي، ثمار القلوب، ص٣٨٨.

obeikandl.com